

أسلوبية القضايا الصرفية في كتاب "سر الفصاحة".

الدكتورة نور الهدى حسيني

جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى النظر في بعض القضايا الصرفية التي عرضها ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) في كتابه سر الفصاحة، حين حديثه عن معايير الفصاحة وشروطها في البلاغة العربية فنحاول معالجة قضايا الصرف والعدول فيه من منظور علم الأسلوب الحديث.

تمهيد:

تأتي هذه الدراسة في إطار محاولة رصد بعض الأفكار الأسلوبية التي كانت حاضرة في بلاغتنا العربية من خلال مؤلف هو أكثر مؤلفات عصره اهتماما برصد شروط فصاحة اللفظ سواء أكان مفردا أم مركبا، وبيان أهمية ذلك ضمن السياق اللغوي العام؛ إنه كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي (ت466هـ)، وهو كتاب بلاغي مهم ظهر في القرن الرابع الهجري يضم كثيرا من الفنون البيانية العربية ويستشهد لها بشواهد قرآنية وشعرية تبحث في إعجاز القرآن الكريم، محاولا تقديم رؤيته ونظريته للبلاغة واللغة والنقد، فبحث قضاياها بأساليب يمتزج فيها الوصف بالتحليل والجدل والتعليل، وبروح علمية وأدبية، فكان الكتاب وصفا مركزًا لكثير من وجوه النظر في اللغة البلاغة والنقد والأدب العربي.

ويقف هذا المؤلف في طليعة الكتب البلاغية والنقدية العربية التي أولت لدراسة الصوت والصرف والنحو والدلالة وشروط تأليف اللفظ والتركييب عناية خاصة.

وهذا ما اعتنت به الأسلوبية الحديثة التي مجّدت الانزياح الفعال للبنى والسياقات

اللغوية والأدبية في النصوص التي تعبر مباحثها اللغوية عن مختلف الأبعاد التعبيرية والنفسية والتأثيرية الأسلوبية؛ لذا يمكننا القول أن مدار القيم الأسلوبية وموطنها هو النص المجسد لكل مستويات اللغة ومن بينها المستوى الصرفي مجال دراستنا هذه.

أسلوبية القضايا الصرفية في كتاب "سر الفصاحة". د. نور الهدى حسيني

واللغة العربية إحدى اللغات التي تعتمد التصرف في بناها وتراكيبها، وهي إحدى خصائصها التي تميزها عن غيرها من اللغات، فهي لغة اشتقاقية معربة في معظم أحوالها لأنها تبحث عن المفردة التي تتماشى والمقاصد التي يريد المتكلم بثها في كلامه، ويسمى الجانب اللغوي الذي يعنى بهذه الظاهرة علم الصرف، أو المستوى الصرفي الذي يعتبر المستوى الثاني من مستويات التحليل اللغوية، وهو إحدى فروع اللسانيات الحديثة¹؛ إذ أنه يُعنى بالبحث في بنى الكلمة وأوزانها واشتقاقاتها، وصيغها، ويصطلح علماء اللغة على هذا الدرس اسم "المورفولوجيا (morphologie) وهي: "ذلك العلم الذي يتناول الناحية الشكلية التركيبية للصيغ والموازن الصرفية"²، وينطوي التعريف الصرفي اللساني للصناعة اللفظية على اتجاهين³:

***الأول:** وصف القواعد المتحكمة في بنية الكلمة، مع وصف التراكيب المورفولوجية للوحدة اللغوية، والبحث في أشكالها وفقا للعدد، والجنس، والزمن، والأشخاص، والإعراب.

***الثاني:** وصف القواعد المتحكمة في البنى الداخلية للكلمات المنتظمة داخل التركيب، مع مراعاة الترتيب الداخلي المنطقي والمنظم.

وقد اتجه كل من تودوروف (Todorov) وديكرو (Ducrot) إلى دراسة هذا الجانب اللغوي، وتوصلا إلى أن مصطلح المورفولوجيا يعني ذلك العلم الذي "يبحث في كيفية حدوث الوحدات المعنوية الدالة صوتيا بحسب السياق الذي تظهر فيه"⁴، ثم انتهى الباحثون بعد ذلك إلى إمكانية دمج هذا المستوى مع المستوى النحوي الذي يتشابه معه في كثير من القواعد حيث إنه يدخل في تصرف الصيغ وأوزانها ومشتقاتها من الناحية الإعرابية وعلى مستوى البنى الداخلية، واصطلحوا على ذلك باسم: "المورفولوجيا والتركيب" (Morfo-syntaxe) نظرا للتداخل في قضايا كل اتجاه منهما بقضايا الاتجاه الآخر.

أما الجانب الصرفي العربي فهو يبحث في البنى الخارجية للكلمة ودراسة أشكالها، والحقيقة أن أغراض هذه الدراسة كانت موجهة منذ بداية الأمر إلى البحث في الأبعاد الدلالية والصرفية، وقد جعلت هذه الفكرة مدار الدراسات اللغوية القديمة والحديثة؛ فقد أورد محمد أحمد قدور مقولة لـ"ابن جني" من كتابه "المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني" يؤكد فيها على مثل ذلك إذ يقول: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة... وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة"⁵.

أسلوبية القضايا الصرفية في كتاب "سر الفصاحة". د. نور الهدى حسيني

ونشير إلى أن "ابن الأثير" كان قد قسم كتابه "المثل السائر" إلى مبحثين مهمين هما: الحديث في اللفظة المفردة واللفظة المركبة، وقد اقتفى أثر "ابن سنان" في كثير من القضايا التي نحن بصدد عرضها، وما يهنا هو ما يحتاجه صاحب الكلام من أجل هذه الصناعة، كما لخص أغراض ذلك في ثلاثة عناصر هي: الاختيار، والنظم أو الصياغة، والغرض، وخصّ الأولين منهما بالفصاحة، بينما جعل الثالث وقفا على البلاغة⁶، وقد استفاد من آراء "ابن سنان" في هذه القضية كثيرا فاقتفى أثره من خلال تتبع القضايا التي رصدها، وعلّق عليها بصورة تجاوز فيه حدود ما وقف عنده "ابن سنان".

وهذه القضايا الصرفية تأتي على رأس القوائم الأسلوبية التي جعلت اللفظ محور درسها والتركيب بؤرة عملها وتطبيقاتها، وعنت بجانب اختيار الكلمة السليمة التي يحسن بها التركيب ويفضل بها الكلام المتميز بأسلوبه عن سائر الكلام العام، لتلي ذلك مرحلة التأليف التي تربط بين هذه الوحدات اللغوية وتخرج بها في صورة فن جميل باعث على القراءة والتحليل، مشحونا بأغراض المخاطب وإفاداته؛ لأن الأسلوبية تشتت في المحور الاختياري حسن التّخير، والانتقاء، وفي المحور التّألفي حسن الائتلاف، والتوزيع؛ لأن الشعرية بنظرهم إنّما تتجلى عند حسن إسقاط محور الإدراج على محور التعاقب⁷.

وقد عرض "ابن سنان" في هذا الكتاب بعض القضايا التي تسمّ الجانب الصرفي، وظهر ذلك في القسم الذي تحدث فيه عن الشروط الواجب توافرها في كل من اللفظة المفردة والتركيب، ومن هذه القضايا:

* أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف.

* أن تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو قليل أو نحوها.

حيث جعل من مثل هذه الظواهر اللغوية التي تخرج بالكلمة من صيغتها الصرفية التي تتواءم وموضوع الكلام إلى صيغ أخرى لحاجة في نفس المخاطب والمقاصد التداولية التي يسعى إلى طرحها شروطا حاصلة في الكلام حتّى يكون فصيحاً، وأفكار "الخفاجي" وإن وردت على نحو من التبسيط والسهولة في طرح القضايا إلّا أنها لم تقدّم الأسس والقواعد الأولى التي لا بد أن يلم بها الباحث؛ فعلى المنهج نفسه يواصل "ابن سنان" ذكره للقضايا المتعلقة بفصاحة الكلمة دون أن يتعرّض لتعاريفها، أو تقسيماتها وأنواعها، فلم يذكر صيغ الأفعال أو الأسماء أو أوزان الاشتقاق ولو بالإشارة حتى عند شرحه للأبيات، واكتفى فقط بالتمييز بين الأسلوب الجيد والقبيح منها؛ لأنه عدّ ذلك من باب الإطناب والتكرار المضني الذي اجتهد فيه أصحاب النحو قبله، وسنعرض بعض ما قاله في توضيحه لتلك القضايا.

مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية جامعة محمد بوضياف . المسيلة . الجزائر.

أسلوبية القضايا الصرفية في كتاب "سر الفصاحة". د. نور الهدى حسيني

1- البنية اللفظية ودلالاتها من خلال عدد حروف الكلمة.

(على مستوى اللفظ المفرد والمركب):

يقول "ابن سنان" في ذلك: "أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة"⁸؛ يشير "الخفاجي" في هذا القول إلى أن ابتغاء مثل هذا الأسلوب يؤثر على طبيعة الكلمة التي يوردها الشاعر في المعنى؛ إذ أن الكلمة الكثيرة الحروف تؤثر في سياق الحديث من عدة نواح:

- صعوبة النطق بها على اللسان.

- التأثير في موسيقى البيت بمخالفتها لباقي كلماته وزنا وعددا.

- تفقد حسن السمع لدى المتلقي.

- التأثير على المكونات الصوتية الأخرى.

- حدوث انفصال في مستوى الاستجابة من طرف المخاطب.

وترجع أسباب جعل مثل هذه الأساليب أمرا خارجا عن حدود الفصاحة العربية للأمور التي سنها القدماء فيما يتعلّق بأوزان الكلمة؛ حيث عملوا بالكلمات الثلاثية منها لخفتها وتمكنها إذ أن من "عادة العرب أن تستروح في نطق الكلمات، وأن تجعلها في ثلاثة أحرف في أغلب الأمر"⁹، أمّا الأمثلة التي أوردها "ابن سنان" حول هذه الظاهرة فنلخصها في الجدول الآتي:

سبب القبح في الكلمات	الكلمة	البيت
<p>*كثرة حروفها مع جمعها، وهو ما اختلف فيه معه "ابن الأثير" الذي يرى بأن "قبح هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها، وإنما هو تقبيحها في ذاتها، وقد كانت - وهي مفردة- حسنة، فلما جمعت قبحت، لا بسبب الطول"15. وهو يعني بذلك كلمة "سويداء" والسبب هو صيغة الجمع المتصلة بالضمير.</p> <p>* يقول "ابن سنان": " فقله -فلأذربيجان- كلمة رديئة لطولها وكثرة حروفها وهي غير عربية، ولكن هذا وجه قبحها، وكذلك قوله في البيت الثاني-استسماجها- رديء لكثرة الحروف، وخروج الكلمة بذلك عن المعتاد في الألفاظ إلى الشاذ والنادر"16، لكن كلمة "أذربيجان" هي اسم لبلد أو مكان فكيف يكون لنا أن نسميها بالخروج عن المعتاد في العربية، ومما يؤكد على هذا ما وضحه من أنها كلمة غير عربية.</p> <p>*وفي لفظة " استماعك " وقد كان يستطيع تعويضها بقوله: باستماعك له، فأورد الكلمة مركبة من: -حرف الجر، المصدر (استماع)، ضمير الخطاب (الكاف)، ضمير الغائب (الهاء).</p> <p>* والأمر نفسه مع لفظة " للمستنشدين" فهي جمع لكلمة استنشد - يستنشد - مستنشد إضافة إلى حروف (الجر، والجمع).</p>	<p>سويداواتها</p> <p>فلأذربيجان</p> <p>استسماجها.</p> <p>باستماعك.</p> <p>للمستنشدين</p> <p>مغناطيسهن</p>	<p>يقول المتنبي10: إِنَّ الْكَرِيمَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ مِثْلَ الْقَلُوبِ بِلَا سُؤْدَاوَاتِهَا.</p> <p>يقول أبو تمام11: فَلِأَذْرَبِيجَانَ اخْتِيَالَ بَعْدَ مَا كَانَتْ مُعْرَسَ عِبْرَةٍ وَنِكَالٍ. سَمَّجَتْ وَنَبَّهْنَا عَلَى اسْتِسْمَاجِهَا مَا حَوَّلْنَا مِنْ نُضْرَةٍ وَجَمَالٍ.</p> <p>وقوله: أَنَّهُ بِاسْتِمَاعِكُهُ مَحَلًا يَفُوتُ غُلُوهُ الطَّرْفَ طُمُوحًا12.</p> <p>ومنه قوله أيضا: وَأَلَى مُحَمَّدٍ ابْتَعَثْتُ قَصَائِدِي وَرَفَعْتُ لِلْمُسْتَنَشِدِينَ لُؤَائِي13.</p> <p>قول "أبي نصر بن نباتة"14 : فَأَيَّاكُمْ أَنْ تَكْشِفُوا عَنْ رُؤُوسِكُمْ أَلَا إِنَّ مِغْنَاطِيسَهُنَّ الدَّوَائِبُ.</p>
<p>* يقول "ابن سنان" عن كلمة (مغناطيسهن): "فمغناطيسهن كلمة غير مرضية لما ذكرته، وإن كان فيها أيضا عيوب آخر مما قدمناه"17، ويرجع سبب قبحها في هذا البيت إلى كثرة حروفها كما أنها قد جاءت على وزن (مفعاليهن) مما زاد من صعوبتها وثقلها على اللسان، وإذا كانت الكلمة صعبة النطق وثقيلة الوزن في حالة الإفراد؛ فإن ذلك أمر مضاعف في حالة الجمع مما يصعب في أدائها، ويؤثر في فصاحة تعبيرها، رغم أن جميع حروفها مجهورة باستثناء حرفي (السين والهاء).</p>		

وعليه فإن ما يفسد اللفظة أو التركيب هو ثقل الكلمة الناتج عن كثرة حروفها التي ألفت من غير ترتيب أو اختيار محكم، يضمن لها أن يكون وجودها داخل العبارة حسنا لها وإضافة مزية في القول؛ لذلك، فإنه يتطلب على الشاعر أن يضع في حسابه اعتبارات للوزن الصوتي الذي يشكله من خلال اختياره لمثل هذه الكلمات، مع استذكار أن القارئ لا يمكن أن يستحسن أي بيت شعري قبل تدوَّق الإيقاعات الموسيقية التي تنضوي تحته ومن ثمة ينعم النظر في المعاني والأفكار التي نقلها، وإلى مثل هذا دعا أصحاب الأسلوبية اللسانية التي تجعل من عملية الربط بين النغمات الصوتية المتوازنة شغلها الشاغل.

وقد أشار "أمادو ألونسو" (amadeo alonso) إلى هذا عندما اعتبر أنه ليس من وسع الكاتب "أن يسجل على الورق كلمة واحدة دون أن يكون قد شعر بجسمها الموسيقي، وليس بوسع القارئ أن يدرك جملة أو عبارة أو حتى كلمة مفردة إلا إذا أعاد بخياله تكوينها الموسيقي"¹⁸، ونفهم من هذا القول أن جمهور البلاغيين العرب قديما قد أدركوا قيمة مثل هذه الاختيارات الصوتية وتأثيرها على وزن البيت الشعري بحيث تكون سببا في قبوله أو رفضه.

2- التصغير ودوره في الفصاحة:

يعتبر التصغير من القضايا الصرفية التي عني بها الدرس الأسلوبي، بالقدر الذي عني بها "ابن سنان" في كتابه، والتصغير: "ظاهرة لغوية معروفة في أغلب اللغات، يُقصد به تغيير في بناء الكلمة على وفق صيغ خاصة، والاسم المصغر في العربية ملحق بالمشتقات لأنه وصف في المعنى"¹⁹، وهذه الصيغة تتقاطع مع باب الصوت حيث يختص بصياغة الكلمة في أوزان اشتقاقية ثابتة تزيد العبارة جمالا ودلالة؛ ذلك أن التصغير يختص بـ"تحويل الاسم المعرب إلى صيغة فُعيل، أو فُعيعل، أو فُعيعيل"²⁰.

وقد اعتنى "ابن سنان" بهذه الظاهرة اللغوية التي تتعلّق بالبنى الخارجية للكلمة؛ فأورده في معرض حديثه عن شروط فصاحة الكلمة، كما حدّد له أغراضا معينة لا يخرج عنها فقال: "أن تكون الكلمة مصغرة في موضع عبّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل، أو ما يجري مجرى ذلك، فإتي أراها تحسن به، ويجب ذكره في الأقسام المفصلة، ولعلّ ذلك لموقع الاختصار بالتصغير"²¹؛ وهو يشير إلى أنّ الاختصار الذي تحدّثه اللفظة المصغرة في التركيب يحقق بعض ملامح الفصاحة وذلك من خلال المساعدة في التعبير عن الأغراض المقصودة في الكلام بأوجز الطرق، وكذا للإفصاح عن المستويات الجمالية والدلالية للفظلة المختارة، كما وضّح له أغراضا معينة منها: التلطيف - الإخفاء - التقليل، ولم

أسلوبية القضايا الصرفية في كتاب "سر الفصاحة". د. نور الهدى حسيني
يشير في هذا التعريف إلى أغراض: التّحقير - التّقريب - التّقليل - التّعظيم (وفيه خلاف) -
المبالغة.

إنّ "ابن سنان" يعتبر التّصغير صفة تتدخل في تصريف الكلمة وفق بنية صوتية
تصدح بأغراض المخاطب وتعبيراته، ولإشارة فإنّ "الخفاجي" مناهض للاتجاه القائل بأن من
الدلالات التي يحققها التّصغير (التّعظيم)؛ وعلى ذلك فقد تبنى رأي المدرسة البصرية التي
رفضت الجمع بين دلالاتي التّعظيم والتّحقير في صيغ التّصغير²².
هذا، ونشير إلى أنّ الأسلوبية قد أولت جانب الصياغة الصرفية حظاً من الدراسة؛ فاعتبر
أسلوب التّصغير في اللفظة بديلاً عن إضافة السوابق واللوّاحق للكلمة، الأمر الذي قد
يتسبب في طولها، وهو ما تنبذه جميع اللغات، ويضاف إلى ذلك ما يحققه التّصغير من
جماليات وجدانية²³.

كما أنه يشكّل حشوا لغويا على مستوى الصيغ الصرفية من خلال عملية التحويل
التي تجري على مستوى المورفيمات والوحدات وهو ما يمثل أبعادا جمالية داخل النص
وخاصة على مستوى البنية الإيقاعية بما يكتنفها من تكرار للوحدات الصوتية على نسق من
التوازي التام للوحدة²⁴.

أمّا الأمثلة التي ذكرها "ابن سنان" فقد تراوحت بين ما استحسنته منها وبين ما اعتبره
قبيحا مرفوضا يؤثر في فصاحة الكلمة، ونذكر هنا بأنّ "ابن سنان" قد اكتفى بذكر الأمثلة
على مستوى اللفظة فقط دون معاودة ذكرها في الأمثلة الدالة على التركيب؛ حيث عاب على
الشاعر تكرار التّصغير في البنية اللغوية، كما دعا إلى ضرورة التّوسط في توظيفه دون
تكراره، حتى لا تتقلب محاسنه عليه يقول: "فإن قيل: كيف تحمدون التّصغير في الكلمة على
ما قدّمتموه، فإذا إنضاف إليه تصغير آخر قبح، وكلّ واحد منهما حسن في نفسه؟، قلنا: إنّ
التّصغير المحمود معنى واحد وغير مختلف ولا متباين، فنحن نكره تكراره كما نذم تكرار
الكلمة الواحدة بعينها، وإن كانت مرضية غير ذميمة، والعلّة في الجميع واحدة"²⁵، ويبقى
التّصغير أحد الأساليب التي يختص بها اللفظ فيصفي "نكتة بلاغية يزيد حسنه ويجمل
موقعه، ويوحى بأثر نفسي محبب"²⁶، ومن أمثلته:

نوع التصغير	الغرض من تصغيرها في البيت ²⁸	وزنها	الكلمة المصغرة	البيت الشعري ²⁷
حسن	تلطيف المعنى من خلال التعبير عن النسيم الخفيف الضعيف بهذه الكلمة ، الأمر الذي أكسبها جانبا من العذوبة والتميز والبروز داخل البيت.	فُعْضِيلَةٌ	رُويحة (ريح)	*قول الشريف الرضي: يُوَلِّعُ الطَّلَّ بُرْدَيْنَا وَقَدْ نَسَمَتْ رُويحَةَ الفَجْرِ بَيْنَ الصَّالِّ والسَّلْمِ.
حسن	غرض هذا التصغير التقليل في مقدار المال، يقول: "صغر لما أراد القلة" فعبر عن غرض التقليل بصيغة (فُعْضِيلَةٌ) دلالة على النقص في المقدار.	فُعْضِيلٌ	جُذِيمٌ (جذم)	*وقوله: زَالَ وَأَبْقَى عِنْدَ وِرَائِهِ جُذِيمٌ مَالٍ عَرَفْتَهُ الحُقُوقُ.
حسن	يقول: "أفلا تراه لما أراد أنها خفية تدق على من ينظرها حسن التصغير في العبارة عنها"، وهي بذلك عبرت عن قيمتها داخل التركيب من خلال بنيتها الصوتية اللطيفة فجاءت موجزة التعبير قوية المعنى.	فُعْضِيلَةٌ	وُمَيْضَةٌ (وميض)	*قول أبي العلاء صاعد بن عيسى الكاتب: إِذَا لَاحَ مِنْ بَرَقِ العَفِيقِ وُمَيْضَةٌ تَدُقُّ عَلَى لَمَحِ العُيُونِ الشَّوَانِمِ.
حسن	يقول: "لما كان الماء قليلا يلوح ودونه حائل من أعناق الإبل وسائر على كل حال حسن وروده مصغرا"، ويرمي من خلال توظيف هذه الكلمة إلى الدلالة على لون الماء في أعناق الإبل إذا شربت فيظهر خفيا قليلا خلال شربها له.	فُعْضِيلٌ	أُزْرِيقٌ (أزرق)	*قول أبي العلاء بن سليمان: إِذَا شَرِبْتَ رَأَيْتَ المَاءَ فِيهَا أُزْرِيقٌ لَيْسَ يَسْتُرُهُ الجِرَانُ.
حسن	يقول: "فإنما جعله قُمَيْرًا لأنه كان هلالا غير كامل. ويمكن الدلالة على ذلك بقوله- إنه غاب في أول الليل وقت نوم السمر- والقمر إذا كان هلالا غاب في ذلك الوقت بلا شك"، وقد جاء دلالة على الجمال والصغر، وحسن المنظر.	فُعْضِيلٌ	قُمَيْرٌ (قمر)	*يقول المخزومي: وَعَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو طُلُوعَهُ وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوْمٌ سُمُرٌ.

<p>قبيح</p>	<p>*في البيت الأول هو تصغير قبيح لأنه خال من أي مزية قد تضيف إلى البيت معنى وليس إلا غزلا بالمحبوبة "جمل"، وعندما أراد تصغير لفظ (الْحُبَيْبَةُ) المصغر أصلا أفسد المعنى وخرج به عن الفصاحة.</p> <p>قبيح</p> <p>*وفي البيت الثاني ورد هذا التصغير للتعظيم، حيث أورد لفظة (اللَيْبَةُ) دلالة على تعظيمها بصيغة التصغير وهو ما رفضه</p> <p>"ابن سنان" واعتبره خارجا عن الفصاحة في اللفظة.</p>	<p>فُعَيْلتنا</p> <p>فُعَيْلتنا</p>	<p>حُبَيْبَتَا</p> <p>لَيْبَتَانَا</p>	<p>*يقول المتنبي 29: إِذَا عَدَلُوا فِيهَا أَجِبْتُ بِأَنَّهُ حُبَيْبَتَا قَلْبِي فَوَادِي هِيَ جَمَلُ.</p> <p>*وقوله: أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لَيْبَتَانَا الْمَنُوطَةُ بِالنَّادِ 30.</p>
<p>قبيح</p>	<p>نلاحظ أن هذه اللفظة قد وردت للدلالة على الهول والتعظيم من شأن هذا الداهية، إلا أن "ابن سنان" يرى أنه لا يمكن أن يجتمع غرضا التعظيم والتصغير في هذا الأسلوب، وجاءت كلمة "داهية" مصغرة رغبة في إخفائها داخل التركيب، للدلالة على قلة المدة التي تستغرقها. وعلى ذلك فهي بعيدة عن أي سمة من سمات الفصاحة.</p>	<p>فُعَيْلَة</p>	<p>دُوَيْهِيَة</p>	<p>*قول الشاعر: وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوَفَ يَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ.</p>
<p>حسن</p>	<p>يقول: "إن تصغيره ها هنا مرضي على ما ذكرته، لأن الحية توصف بأنها لا تغتذي إلا بالتراب، فقد جف لحمها وذهبت الرطوبة منها"، ولما أراد الشاعر إخفاءها داخل التركيب لجأ إلى تصغيرها، والشاعر وإن أراد التعظيم من شأن الحية إلا أنه لجأ إلى إخفائها داخل التركيب بالتصغير دلالة على خفاءها في الأرض.</p> <p>التركيب لجأ إلى تصغيرها.</p>	<p>فُعَيْعِل</p>	<p>أُعْيِير</p>	<p>*يقول أبو نصر بن نباتة: فَفِي الْهَضْبَةِ الْحَمْرَاءِ إِنْ كُنْتُ سَارِيَا أُعْيِيرُ يَاوِي فِي صُدُوعِ الشَّوَاهِقِ.</p>

أسلوبية القضايا الصرفية في كتاب "سر الفصاحة". د. نور الهدى حسيني

ومن خلال هذه الأمثلة نخلص إلى أنّ التصغير أسلوب لغوي صوتي ذو قيم جمالية على اللفظ وعلى التركيب، تتكافل جميعها لتحقيق الأبعاد البلاغية والجمالية التي ارتأها المتكلم، فتجسّد صوراً من المبالغة كالنقليل والتحقير والتعظيم في صور تجعل الفكر مندوقاً مستشعراً لقيم التعبير السليم والمختصر الذي يظهر من خلال المعطيات اللفظية للمادة اللغوية التي تكون مكثفة المعنى داخل التركيب وإن كانت مصغرة.

نشير في آخر الأمر إلى أنّ التصغير هو أحد المزايا الأسلوبية التي تضيف على اللفظة دلالات جمالية تفضل بها الكلمة عن غيرها، يضاف إلى ذلك ما تحققه أيضاً من مزايا النغم الصوتي الذي يرد نتيجة للاختيار المتنقن للوحدات اللغوية، لذا فإنّ "ابن سنان" اعتبر الكلمات شحنة لفظية تتضح بالإيقاعات الصوتية التي ينبغي أن "يراعى فيها الانسجام النغمي الذي يثير الطرب ويلفت الانتباه إلى الاستجابة التلقائية للموقف المراد، وهذا الأمر يتوالى على النسق حتّى إذا فرغ الأديب من عباراته يكون قد فرغ من توليفته الموسيقية الموحية للباعث النفسي"³¹.

خاتمة:

نخلص في هذا العرض إلى جملة من النتائج أبرزها :

أن ابن سنان لم يفته التركيز على بعض القضايا الصوتية ذات البعد الأسلوبي في بلاغته لعل أهمّها ضرورة حسن التأليف بين الحروف والتنسيق بينها بما يجعلها خفيفة في النطق فلا تسبب ثقلاً في النطق، ثم يؤكد ابن سنان على الشاعر أن يضع في حسبانته ضرورة مراعاة الوزن الصوتي في بنية الشعر قبل تدوّن الإيقاعات الموسيقية التي تنضوي تحته ومن ثمة يُنعم النظر في المعاني والأفكار التي نقلها، وهذا ما يركّز عليه علماء الأسلوبية اللسانية التي تجعل من عملية الربط بين النغمات الصوتية المتوازنة شغلها الشاغل.

يشكّل التصغير قيمة أسلوبية وبلاغية مهمة تحقق مبالغة في الفعل بالتحقير أو التعظيم حسب سياق الاستخدام مع عدم اعتراف ابن سنان بأداء الصيغة نفسها لمعنيين متضادين، وجعل من شروط فصاحة اللفظة اتقان التعبير بصيف التصغير وحسن التأليف بين حروف صيغته فيلج على تصريف الكلمة وفق بنى تتناسب مع مقاصد المتكلم وأغراضه، وهذه العناية الصرفية بالتصغير نجدها محلّ تركيز الأسلوبية الحديثة اليوم.

الهوامش:

- 1- ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996م، ص: 137.
- 2- عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006م، ص: 93، 94.
- 3- ينظر: رباح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2006م، ص: 103.
- 4- المرجع نفسه، ص: 103.
- 5- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 139.
- 6- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د، ط)، الجزء الأول، ص: 163، 164.
- 7- رباح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، ص: 104.
- 8- ابن سنان، سر الفصاحة، قدم له واعتنى به ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، كتاب ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، ص: 106، 107.
- 9- عالية محمود حسن ياسين، الدرس الصوتي في التراث البلاغي العربي حتى نهاية القرن الخامس هجري إشراف الدكتور محمد جواد النوري، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، 2003م، ص: 179.
- 10- المتنبّي، الديوان ضبطه وصححه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، (د، س)، (د، ط)، ص: 230. ينظر: ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 107.
- 11- ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 107، 108.
- 12- أبو تمام، الديوان، ضبطه وشرحه وعلّق عليه شاهين عطية، المطبعة الأدبية، بيروت، 1889م، الجزء الأول، ص: 67. ينظر ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 107.
- 13- المصدر نفسه، ص: 13. ينظر: ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 107.
- 14- ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 107.
- 15- ابن الأثير، المثل السائر، الجزء الأول، ص: 204.
- 16- ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 107.
- 17- ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 107.
- 18- عمر إدريس عبد المطلب، نظرية الأسلوب عند ابن سنان، دراسة تحليلية بلاغية ونقدية -، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م، ص: 101.
- 19- هادي نهر، الصرف الوافي -دراسات وصفية تطبيقية-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص: 237.

أسلوبية القضايا الصرفية في كتاب "سر الفصاحة". د. نور الهدى حسيني

- 20- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة "دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والتحويلية والمعجمية"، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005م، ص: 94.
- 21- ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 108.
- 22- ينظر: هادي نهر، الصرف الوافي -دراسات وصفية تطبيقية-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص: 238.
- 23- ينظر: بيار جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط2، 1994م؛ ص: 61، 62.
- 24- ينظر: محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب، القاهرة، ط1، 2003م. ص: 35.
- 25- ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 127.
- 26- حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م، ص: 36.
- 27- ابن سنان، سر الفصاحة، ص: 108- 110.
- 28- المصدر نفسه، ص: 108- 110.
- 29- المنتبي، ديوان المنتبي، الجزء الثالث، ص: 182.
- 30- المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: 70.
- 31- عمر إدريس عبد المطلب، نظرية الأسلوب عند ابن سنان، ص: 99.

مكتبة البحث:

- 1) -أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996م.
- 2) -ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي ويدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د، ط)، الجزء الأول.
- 3) -بيار جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط2، 1994م.
- 4) -أبو تمام، الديوان، ضبطه وشرحه وعلق عليه شاهين عطية، المطبعة الأدبية، بيروت، 1889م، الجزء الأول.
- 5) -حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م.
- 6) -إبراهيم بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2006م.
- 7) -ابن سنان، سر الفصاحة، قدم له واعتنى به ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، كتاب ناشرون، بيروت، ط1، 2010م.

- 8) -عالية محمود حسن ياسين، الدرس الصوتي في التراث البلاغي العربي حتى نهاية القرن الخامس هجري إشراف الدكتور محمد جواد النوري، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، 2003م.
- 9) -عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006م.
- 10) -عمر إدريس عبد المطلب، نظرية الأسلوب عند ابن سنان، دراسة تحليلية بلاغية ونقدية -، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م.
- 11) -المتنبى، الديوان ضبطه وصححه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، (دت)، (د، ط)، ص: 230. ينظر: ابن سنان، سر الفصاحة.
- 12) -محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب، القاهرة، ط1، 2003م.
- 13) -محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة "دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية"، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005م.
- 14) -هادي نهر، الصرف الوافي -دراسات وصفية تطبيقية-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م .